



إذا ابْتَلَيَ الْمُسْلِمَ فِي بَدْنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ، فَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ وَفَقَ الْمَنْهَجُ الْإِسْلَامِيُّ الصَّحِيحُ لِمَوْاجِهَةِ مَثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ وَتَلْخُصُ خَطُوطَهُ هَذَا الْمَنْهَجُ فِي النَّقَاطِ الْأَتَيَّةِ:

1- اليقين والرضا:

الخطوة الأولى: على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هناك حياة أخرى هي خير من هذه الحياة، قال تعالى: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى:17]، وقال سبحانه: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَقِّنِ} [النحل:30]، يعني اعتقاد هذا أن تلك المحنة مهما طالت فهي إلى زوال، لأن الدنيا نفسها زائلة، وهي لا تدعو أن تكون دار امتحان وابتلاء.

ومن هذا المنظور للحياة يتكون لدى الشخص المبتلى حواجز للرقى والسمو فوق المحنة، فيجاهد نفسه، ويقول عند المصيبة **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** لأن المصائب لا تدعو أن تكون سلباً للنعم التي سبق أن أنعم الله بها عليه، أو حرماناً من النعم التي أنعم الله بمثلها على عباده، فإذا ابْتَلَيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ فَاسْتَرَدَّ مِنْ نِعْمَةٍ كَانَ قَدْ وَضَعَهَا بَيْنَ يَدِيهِ لِيَتَلَهُ بَهَا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَذَكَّرُ بِسُرْعَةِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَتَذَكَّرُ أَيْضًا أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْخَلَقِ مَمْلُوكُونَ لِهِ سَبَّاحَهُ وَأَنَّهُمْ عَبَادُهُ، وَأَنَّهُمْ جَمِيعًا رَاجِعُونَ إِلَيْهِ، فَإِنَّا رَجَعَ الْمُلْكَ إِلَى مَالِكِهِ فَعُلِمَ الْحَزْنُ؛ وَعُلِمَ الْأَسْى؛ وَلَمْ يَعْتَرِضْ؛ وَلَمَّا زَادَ التَّسْخُطُ؛ فَحِينَما يتذَكَّرُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ يَعْلَمُ بِعِبَارَةِ الإِيمَانِ الَّتِي تَدَلُّ عَلَيْهَا فَيَقُولُ: **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**. هذه العقيدة الإيمانية رحمة من الله تملأ القلوب طمأنينة وتسلیماً، ورضي عن الله عز وجل فيما جرت به مقاصيره؛ فما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

2- الصبر والاحتساب:

تتمثل الخطوة الثانية في الصبر على آثار الابتلاء أو بالأحرى الحالات الناجمة عنه من الملل والقلق والاضطراب والوسوس، في الصبر الجميل والاحتساب تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أمره ربـه بالصبر على الأذى أسوة بأولي العزم من الرسـل، قال تعالى: **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}** [الأحقاف:35]. فهـذا الصبر يجعلـه في معية الله تعالى، مصداقاً لقولـه سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [البقرة:153]، كما يجعلـه من أهل محبـته، فهو سبحانه القائل: **{وَاللَّهُ يُحِبُّ**

الصَّابِرِينَ [آل عمران:146]، وأن يتيقن أن مع العسر يسراً وأن مع الكرب فرجاً وأن الله سبحانه هو الذي يكشف ضره، وليعلم أن جزاء الصبر هو الفوز برضوان الله تعالى والفوز بالجنة، كما قال تعالى: {إِنَّمَا جَزِيلُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون:111].

3- محاسبة النفس تعقبها التوبة والاستغفار:

الخطوة الثالثة: على المسلم إذا ابتلي بالضراء أن يتأمل حياته الحالية والماضية وينظر أيضاً في نواياه المستقبلية، وأن يعلم أن ما أصابه من حسنة فمن الله تعالى وما أصابه من سيئة فمن نفسه، كما قال تعالى: {مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ} [النساء:79]، فإن وجد ذنبًا – وما أكثرها – فليبادر إلى محاسبة نفسه، وأن يتلمس عيوبه، لأن جهله بها من أكبر ذنبه، والفاجر لا يحاسب نفسه، أما المؤمن فهو نفس لوامة، تلوم على الشر، لم فعلته؛ وتلوم على الخير، لم لا تستكثر منه؟ ويترتب على ذلك اللجوء الفوري إلى التوبة النصوح، والتطهر من الذنوب، والإكثار من الاستغفار.

الاستقامة والتقوى:

الخطوة الرابعة: التزام الاستقامة والتقوى. أما الاستقامة فلأنها أقوى سبب للرقي الإيماني، وما انتشرت في قوم إلا صلح
حالهم وزاد إقبالهم على الخير، والمستقيمون هم الذين وعدهم الله عز وجل بإذابات الحزن وبعد الخوف عنهم في الدنيا
والآخرة؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [الأحقاف:13].

أما التقوى فهي من مفاتيح السعادة لأنها تجعل المؤمن في معية الله تعالى وتجلب رحمته ورزقه، كما أنها مفتاح الخروج من الأزمات ومحلية للرزة.

5- الدعاء والتضرع والتوكل على الله:

الخطوة الخامسة: التوجّه بالدّعاء إلى الله عز وجل والتّضرّع إليه والاستغاثة به أن يكشف ما به من سوء، وأن يرزقه العافية، وذلك كما حدث من نبي الله أليوب عليه السلام ويستحب أن يتّوسل إلى الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلي، وبعد الدّعاء، تأتي الاستعانة بالله تعالى والتّوكل عليه. وبعد التّوكل واعتقاد الفرج فلا بد من الأخذ بالأسباب التي تساعده في الخروج من أزمة الابتلاء.

6- التهيئة النفسية لما بعد الابتلاء:

الخطوة السادسة: إذا لم يجد المبتلى ذنبا في الحال -وهذا نادر- فليعلم أن هذا الابتلاء تمحيص له، وتدريب على تحمل المشاق التي تؤدي في النهاية إلى ابتلاء من نوع آخر هو الابتلاء بالسراء أو التمكين في الأرض، وذلك هو حال أولي العزم من الرسل ومن اتبعهم من صالح المؤمنين، وما يقرب هذه المسألة إلى الأذهان أننا نجد تقوية الجسم إنما تكون بممارسة الرياضات التي تستلزم مجهودا شاقاً، فكذلك تنمية القوة النفسية تستلزم التدريب على تحمل المشاق والابتلاءات، وكذلك قطف ثمار الزرع لا يتم إلا بعد بذل مجهود الحرث والزرع والسقاية.

7- السكينة والطمأنينة:

الخطوة السابعة: إذا تاب المسلم واستغفر ربها، وأقلع عن معصيتها، ودعا الله بصالح أعمالها، وتوكل على الله، وأخذ بالأسباب ولم ينكشف ما به، فعليه أن يعلم ويتيقن أن ذلك لحكمة اقتضتها المولى عز وجل لا يعرفها الآن، وكفاه في ذلك أن يعد في معية الله تعالى وأنه من أهل محبته، ومن أظهر الأدلة على ذلك قصة الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام بأمر من ربه عز وجل كي يقي والديه من الطغيان والكفر ولا شك أن الابتلاء بفقد الولد أخف كثيراً من الابتلاء بالكفر والطغيان. ومن هنا تتجلى حكم التوكل والاحتساب والاستخارة في أمور العبد، فإن العبد قاصر عن إدراك ما ينفعه في دينه ودنياه ولذلك

شرعت الاستخارة وتفويض الأمر إلى الله.

(من كتاب: نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم)

المصادر: